# رحمةً للعالمين

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار من المهاجرين والأنصار وعن سائر عبادك الصالحين.

## شعبنا يتميز بتفاعله الكبير مع ذكرى المولد

إن لشعبنا اليمني المسلم العزيز شرف التميز في تفاعله مع ذكرى المولد النبوي؛ لأنه يمن الإيمان، يمن الأنصار، وهو من جيل إلى جيل توارث هذا الإيمان، مبادئ حق يتمسك بها، وأخلاقًا كريمة يتحلى بها، وروحًا طيبةً يحملها، ومحبةً وإجلالًا وتوقيرًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم تفلح جهود ومساعي القوى الظلامية الضالة المخذولة في تغيير هذه السجية الطيبة، وهذا الانتماء الأصيل لهذا الشعب المسلم، كما أن معاناة شعبنا من العدوان الأمريكي السعودي الإماراتي الهمجي الظالم لن تثْنه عن الاحتفال بهذه الذكرى في كل عام؛ لأنها مناسبة تربطنا بها وشيجة الإيمان، وتزيد الأحداث والتحديات من أهميتها.

فهي مناسبة معطاءة غنية بأهم الدروس والعبر التي تحتاج إليها الأمة اليوم وتستفيد منها البشرية بكلها في تصحيح وضعها وإصلاح واقعها ومواجهة الأخطار بعد أن تفاقمت مشاكل البشرية بفعل قوى الطاغوت والاستكبار الظلامية الظالمة التي تسعي في الأرض فسادًا وتملأها ظلمًا وجورًا.

## من المهم لكل مسلم أن يسعى إلى معرفة الرسول

الحديث عن الرسول *صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله* هو حديث عن الإسلام وعن الإيمان، والعلاقة بالرسول

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله **هي علاقة إيمانية، علاقة محبة وإيمان وتعظيم وتوقير واهتداء واتباع واقتداء، ولذلك من المهم لكل مسلم أن يسعى إلى معرفة أكثر عن هذا الرسول** صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، **عن سيرته، بهذا الاعتبار الإيماني وبطبيعة هذه العلاقة الإيمانية.**

**وكلما كانت هذه المعرفة معرفة قوية وصحيحة كلما كان لها أثرها الإيجابي في نفسية الإنسان المؤمن، في الجانب الإيماني نفسه، العلاقة الإيمانية نفسها، كلما ازددت إيمانًا كلما ازددت اهتداء وتأثرًا برسول الله** صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

## الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من أهم وسائل التعرف على هذا النبي العظيم

**يمن الإيمان والحكمة يجعل من مناسبة المولد يومًا مجيدًا رغم التحديات، كما في كل عام، وبكل حبٍّ وإعزاز وشوق ولهفة وإكرام وتقديس يحتفلُ شعبُنا يمنُ الإيمانِ والحكمة، يمنُ الأنصار، يمنُ الأوسِ والخزرج، يمنُ**

الفاتحين، بهذه المناسبة ليجعلَ منها يومًا أَغَرَّ في جبين الدهر، يومًا مجيدًا، ويومًا مشهودًا، عرفانًا بالنعمة، وشكرًا لله، واحتفاءً بخاتم الأنبياء، وتأكيدًا متجددًا للولاء، وردًّا لكل المحاولات الشيطانية من جانب الأعداء في استنقاص مكانته في النفوس، وقدره في القلوب، بُغيةَ إبعاد الناس عن التمسك به والولاء له.

وشعبُنا اليمني العزيزُ يجعل من هذه المناسبة محطةً سنويةً لاكتساب الوعي، وشحذ الهمم، واقتباس النور، وتعزيز الولاء للرسول والرسالة، والتعبئة المعنوية ضدَّ أعداء رسول الله، أعداء الحق، أعداء البشرية.

## ولهذه المناسبة العزيزة دلالاتها:

١) الابتهاج والاعتراف بمنّة الله العظيمة وفضله العظيم علينا كمسلمين وعلى العالمين أجمع، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

نحن كمسلمين، كأمة مسلمة، كمجتمع مؤمن يجب أن تكون نفوسنا متعلقة بفضل الله، تعترف لله بعظيم نعمته،

وتقدِّر نعم الله عليها، وفي مقدمة هذه النعم: نعمة الهداية التي كانت عن طريق الرسول والقرآن، ومحمد هو رسول الهداية أرسله الله بالهدى ودين الحق؛ فمثل هذه المناسبات العزيزة الإيمانية التي لها علاقة مهمة بديننا، ونستفيد منها فيما يقرِّبنا إلى الله: تستحق منا الفرح والابتهاج والسرور، لقد أراد لنا أعداؤنا أن يشدُّونا في مشاعرنا إلى مناسبات تافهة لا قيمة لها ولا أثر في واقع الأمة ويبعدونا عن مثل هذه المناسبات العظيمة، ولكنهم فاشلون وخائبون وخاسرون.

٢) إن إحياءَ ذكرى مولد النبي صلوات الله عليه وعلى آله هو مناسبةٌ للحديث عن الرسول ومبعثه ومنهجه ورسالته، وعن واقع الأمة وتقييمه.

وهو أيضًا من الإشادة بذكره، والله سبحانه وتعالى حينما قرن الشهادة برسالته مع الشهادة بوحدانيته في الأذان والصلاة، كلَّ يوم وليلة خمسَ مرَّات، وحينما قال﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ لأنه أراد أن يبقى رسولُ الله حيًّا في وُجداننا، وحاضرًا في أذهاننا.

فَصِلَتُنَا بهذا النبي هي صلةٌ بالرسالة، صلةٌ بالهدى، وارتباطٌ بالمنهج الإلهي، وارتباطٌ بالرسول من موقعه في الرسالة: هاديًا وقائدًا ومعلمًا ومربيًا وقدوةً وأسوةً، نهتدي به، ونقتدي ونتأسى به، ونتأثر به، ونتّبِعُه.

وما أعظم حاجتنا وحاجة البشرية إلى ذلك! لأنه لا نجاةَ ولا سعادةَ للبشرية إلا به، وإن أكبرَ ما جلب الشقاءَ والمعاناةَ على البشرية هو ابتعادُها عن هدى الله، ومخالفتُها لتوجيهاته.

٣) التعبير عن الولاء لرسول الله محمد صلواتُ الله عليه وعلى آله هذا الجانب المهم كأساس من أساسيات الإيمان لا يتم الإيمان إلاَّ به ولا يتحقق إلاَّ به: الولاء لرسول الله والإيمان بولايته وتعظيمه وتوقيره والاهتداء به والاتباع له.

لأن الله جعله لنا هاديًا، معلمًا، يزكينا، يعلمنا الكتاب والحكمة، وجعله لنا الأسوة والقدوة فنتأثر به، ونهتدي به، ونسير على نهجه، ونتأثر به، في مواقفنا نتحرك في الطريق نفسها التي تحرك عليها، نتفاعل طاعة،

عملًا، التزامًا مع الرسالة التي أتى بها وهي القرآن الكريم والإسلام العظيم، والتعبير عن هذا الولاء له أهميته الكبيرة؛لأن الأعداء يحاولون أن يفكّونا فكًّا عن كل هذه الروابط العظيمة التي سنستعيد بها مجد أمتنا وعزة أمتنا وقوة أمتنا التي كانت أيام محمد صلوات الله عليه وعلى آله.

٤) أضف إلى ذلك أن ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي مناسبة جامعة يمكن أن تمثل أساسًا مهمًا للوحدة الإسلامية، ومن خلالها يتم التذكير بالأسس الجامعة المهمة التي توحد الأمة وتبني الأمة.

***

## حالة العالم قبل مولد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان العالَم بكله بشتى أنحاء الأرض يعيش جاهلية جهلاء تعاظم فيها الضلال واشتد العمى وطغت الحيرة والتيه واستحكمت فيها هيمنة القوى المستكبرة بقوتها وجبروتها تضل وتظلم.

وتضاءلت في الأرض دائرة النور وأطبق عليها الظلام: ظلام الجهل بالحق والحقيقة وظلام الخرافة وظلام الباطل وظلام الفساد، وامتلأت ظلمًا وجورًا وعدوانًا، وفقدت البشرية الوعي بهدف وجودها المقدس ومسؤوليتها في الحياة.

وأصبح الإنسان تائهًا لا يعي دوره ولا يحمل من اهتمام إلا أن يأكل ليعيش وأن يعيش ليأكل كالأنعام السائمة.

وتمكن المجرمون المستكبرون المتسلطون الجائرون أن يجعلوا من الخرافة عقيدة، ومن الانحراف والفساد سلوكًا وعادة، ومن الجهالات والأباطيل عادات وتقاليد.

وحرموا حلال الله وأحلوا حرامه، وأشركوا به، وبلغوا بإضلالهم لعباد الله وتوحشهم إلى تفريغ الإنسان من

عاطفته الإنسانية ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الأنعام:١٣٧].

أوصلوهم إلى أن يباشر الأب ذبح طفله وقتل مولودته إما خوفا من الفقر أو احتسابا لها منقصة، وتحولت كل تلك الخرافات والمفاسد والجهالات إلى معتقدات يقدسونها ويدينون بها ويتشبثون بها أشد تشبث، وعادات يتعصبون لها تطبعت عليها أجيال، يموت عليها جيل ويحيا عليها جيل آخر.

وطغت على حياة الناس واستحكمت وتمكنت حتى أصبحت مسلمات وثوابت مع كل ما ترتب عليها ونشأ من خلالها من نتائج سيئة في واقع الحياة من عناء وشقاء وقهر وظلم، وشتات وفرقة، وتناحر ونزاع وبؤس وضعة.

ومع حاجة المجتمع البشري إلى التغيير إلا أنها مهمة لن تكون سهلة تجاه واقع وصل إلى هذا الحد، وفيه قوى الطاغوت تحمي وترعى ذلك الانحراف، وتزيد منه، ومعالم رسالة الله تعالى في الأنبياء والرسل السابقين انمحت معالمها في منتسبيها؛ فأضاعت اليهود معالم

رسالة الله تعالى إلى موسى وأنبياء بني إسرائيل، وأضاعت النصارى ميراث عيسى من الهدى والأخلاق، ولم يتبقَ للجميع إلا طقوس وشكليات مفرغة من كل معنى، وفاقدة لأي تأثير، وأصبحوا جزءا من الواقع لا صالحين ولا مصلحين، بل منحرفين ومحرفين، ضالين ومضلين، فاسدين ومفسدين.

وحولوا كتب الله إلى قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا منها، وحولوها إلى عبارات مكتوبة معطلة عن التنفيذ، وموقفة عن الاهتداء بها والعمل بما فيها، وحرفوها سعيًا منهم إلى تحويلها إلى وسائل للتضليل بها والافتراء على الله الكذب باسمها، فضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل.

## محاولة هدم البيت الحرام:

في ذروة استحكام قبضة الطاغوت وسيطرة المستكبرين تحرك أصحاب الفيل؛ بهدف القضاء على ما يعتبرونه تهديدًا مستقبليًا؛ فالآثار والأخبار والمؤشرات قد عرفوا منها أن مبعث النور والخلاص آت بقدوم خاتم الأنبياء من مكة البيت الحرام في ذلك العام، فتحركوا

بجيشهم، يريدون السيطرة المباشرة ووأد المشروع الإلهي في مهده، والقضاء على الرسالة الإلهية، تماما كما فعل فرعون في سعيه للحيلولة دون المشيئة الإلهية في أمر موسى عليه السلام ففشل وخاب.

ويسعون أيضًا إلى هدم الكعبة بيت الله الحرام المقدس ومعلم الشعائر الدينية والرمز المتبقي في اجتماع كلمة العرب آنذاك على تقديسه، مع اختلافهم في كل أمورهم الأخرى، وفي مقدمة جيشهم اصطحبوا فيلًا ليرعبوا به العرب ويخيفوهم بهذا الكائن غير المألوف لديهم والحيوان الكبير الذي رأى فيه الكثير أنه أمر لا يقاوم.

ومع قداسة البيت الحرام لدى العرب التي توارثوها من عهد نبي الله إبراهيم الخليل وابنه نبي الله إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وارتباطهم بشعائر الحج إلا أنهم نتيجة للفرقة والاختلاف والشتات الذي كانوا فيه، والمفاهيم الظلامية التي سيطرت على تفكيرهم ورؤيتهم على الأمور، والخلل الذي كانوا يعانون منه في كل واقعهم، وفقدانهم الأمل في الله تعالى لم يتحركوا بجدية في مواجهة أصحاب الفيل، وغلبت عليهم الهزيمة

واليأس وهربوا من المواجهة وقالوا في الأخير: (للبيت رب يحميه)، فحمى الله بيته الحرام، وأنفذ مشيئته بقدوم المولود المبارك محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١].

أما أصحاب الفيل فأهلكهم، وأما كيدهم ومكرهم فبطل وضل وانتهى ولم يتحقق لهم ما أرادوا، فمشيئة الله تعالى ورحمته بعباده أتت بالخلاص وبالفرج بعد أن بلغ الضلال ذروته، واستحكمت سيطرة الطاغوت والاستكبار في كل أقطار الدنيا، وملأت بظلامها قلوب البشرية فأعمت بصائرهم، وطغت بظلمها على واقعهم فأشقت حياتهم.

لقد كان مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عام الفيل تلك الحادثة العجيبة، وكان للحادثة بنفسها علاقة بإرهاصات القدوم المبارك لخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم[1].

***

(١) خطاب المولد ١٤٣٨هـ.

# رحلة مع الرسول والرسالة

اعتاد المؤرخون وأصحاب السير أن يتحدثوا في السيرة النبوية وأن يُفَصِّلوا المراحل إلى ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: ما قبل البعثة: منذ الولادة إلى حين البعثة بالرسالة.
- المرحلة الثانية: منذ البعثة بالرسالة إلى حين الهجرة، وهذا يسمى بالعهد المكي.
- والمرحلة الثالثة: منذ الهجرة إلى حين الوفاة، وهذا يسمى بالعهد المدني.

وسوف نتناول كل مرحلة من المراحل باختصار شديد مركزين على بعض المحطات المهمة، ثم نختم هذه الرحلة بالدروس والعبر التي نستفيدها في هذه المرحلة ونحن في مواجهة شاملة مع الجاهلية الأخرى بقيادة أمريكا وإسرائيل ومنافقي العرب، هذه الجاهلية التي هي كما قال الرسول صلواتُ الله عليه وعلى آله: ((**بعثت بين جاهليتين أخراهما شر من أولاهما**)).

# المرحلة الأولى: من الولادة حتى البعثة بالرسالة

## المولد المبارك

رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كما أشرنا ولد في عام الفيل، وكانت حادثة أصحاب الفيل أول وأكبر الإرهاصات المهمة لهذا القدوم المبارك والميمون، والذي سيُحدث الله به أكبر عملية تغيير في الواقع العالمي، ولم تطل الفترة ما بعد حادثة أصحاب الفيل الذين أبادهم الله سبحانه وتعالى كما قص قصتهم في القرآن الكريم حينما قال جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)﴾ [الفيل].

البعض يقدر المدة الزمنية بليلة، البعض بليلتين، البعض بـ٤٠ يومًا، مسألة ليست مهمة جدًا: معرفة متى بالتحديد، فمن الواضح أنه في بداية ذلك العام ولم تكن الفترة الزمنية قد طالت إلى حين ولادة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

## نسبه الشريف:

رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من نسل نبي الله إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ونبيه، ولد في مكة، في شعب بني هاشم، ولدته أمه (آمنة) الشريفة، وآمنة هذه كانت سيدة نساء قريش ولها منزلتها الكبيرة فيما عُرفت به من طهارة وعفة وصلاح، وكذلك أسرتها بني زهرة، حي من أفضل أحياء العرب، ومن خيرة أحياء قريش.

فآمنة بنت وهب ولدته كما في كثير من الروايات والأخبار، وكما هو شبه مجمع عليه عند أكبر المؤرخين وأصحاب السير في شهر ربيع الأول، الأكثر على أن ولادته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله في الـ١٢ من شهر ربيع، وهذا القول يقول به أكثر المؤرخين وأصحاب السير من معظم المذاهب الإسلامية.

والبعض منهم ذهبوا إلى أنه ولد يوم الجمعة في السابع عشر من شهر ربيع الأول، كذلك الخلاف حول هذه المسالة ليس مهمًا.

نحن جرت عادتنا وتوجهنا في بلدنا هذا اليمن على مدى التاريخ، على مدى الزمن الماضي بكله، على الاحتفاء بذكرى المولد النبوي في يوم الـ١٢ باعتباره التاريخ المعتمد لدينا ولدى علمائنا ولدى مؤرخينا وأصحاب السير لدينا.

والعناية بهذه الذكرى في الماضي كانت تشهد نشاطًا خيريًا يكون فيه اهتمام بالإحسان إلى الناس وصلة الأرحام وما إلى ذلك، وهذه عادة حسنة يجب الاستمرار عليها.

إضافة إلى الحديث عن المولد والتذكير بالرسول صلواتُ الله عليه وعلى آله، والإكثار من الصلاة عليه والعناية أيضًا بالحديث عن سيرته، العناية أيضًا بالإشادة بذكره والتعظيم لأمره؛ كل هذا له أهمية وقيمة عظيمة في الإسلام وأهمية كبيرة بالنسبة للإنسان المسلم فيما تعززه من علاقة وروابط قوية بنبي الإسلام.

## النشأة المباركة:

الرسول صلواتُ الله عليه وعلى آله عندما ولد نشأ يتيمًا: يتيم الأب، أولًا: توفي والده: البعض يقولون أثناء الحمل

به، والبعض يقولون بعد ولادته بشهرين، ولكن الكل مجمع على أنه نشأ يتيم الأب، وبعد ولادته بُشِّر به جده عبد المطلب، وعبد المطلب كان له شأن كبير، كان له تأثير على مستوى المنطقة العربية بكلها ويُعظم ويحترم، وكذلك في مكة هو سيد قريش، وكان على حنيفية إبراهيم عليه السلام - كما يُؤثر ويروى - موحدًا لله سبحانه وتعالى، وكان له العناية بحفر بئر زمزم بعد أن كانت قد طمَّت منذ فترة تاريخية طويلة، واستخراج مائها من جديد، وعناية كبيرة بشؤون الحج ومكة، وما إلى ذلك.

(روى ابن إسحاق في تاريخه: بينا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف نائماً في الحِجْر، عند الكعبة، أُتِيَ فأُمِر بحفر زمزم.

ويقال إنها لم تزل دفيناً بعد ولاية بني إسماعيل الأكبر وجُرْهم، حتى أمر بها عبد المطلب، فخرج عبد المطلب إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إني قد أمرت أن أحفر زمزم، فقالوا له: أبين لك أين هي؟ فقال: لا، قالوا: فارجع إلى مضجعك الذي أريت فيه ما أريت، فإن كان حقاً من

الله عز وجل بين لك، وإن كان من الشيطان لم يعد إليك، فرجع فنام في مضجعه، فأُتي فقيل له: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، هي تراث من أبيك الأقدم.

فقال حين قيل له ذلك: أين هي؟ فقيل له: عند قرية النمل، حيث ينقر الغراب غداً، فغدا عبد المطلب ومعه الحارث ابنه، ليس له ولد غيره، فوجد قرية النمل، ووجد الغراب ينقر عندها، بين الوثنين: إساف ونائلة، اللذين كانت قريش تنحر عندهما.

## عبد المطلب وانتظاره لهذا المولود:

عبد المطلب عندما بُشر بهذا المولود الجديد كان على انتظار لهذا الموعد، وكان كما يبدو من كثير من الأخبار والآثار، كان مؤملًا ومستبشرًا في هذا المولود باعتبار أن هناك مؤشرات، والبعض كانوا تحدثوا إليه، كانوا يرون فيه علامات تدل على أنه من نسله من سيكون له شأن عظيم بأن يجعله الله سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء، فلربما كان توقعه إلى هذا المستوى أن يكون هذا المولود هو النبي الموعود، أو بالحد الأدنى أن لهذا المولود شأنًا

عظيمًا وكبيرًا جدًا لاعتبارات وعلامات وإرهاصات.

(روى اليعقوبي في تاريخه الجزء الثاني الصفحة ٧ قال:

كان عبد المطلب جد رسول الله سيد قريش غير مدافع، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً، وسقاه زمزم وذا الهرم، وحكمته قريش في أموالها، وأطعم في المحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال.

قال أبو طالب:

ونطعم حتى تأكل الطير فضلنا

إذا جعلت أيد المفيضين ترعد

ورفض عبادة الاصنام ووحد الله عز وجل، ووفى بالنذر وسن سنناً نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السنة من رسول الله بها وهي: الوفاء بالنذور، ومائة من الإبل في الدية، وألا تنكح ذات محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة، والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزناء، والحد عليه، والقرعة، وألا يطوف أحد بالبيت عرياناً، وإضافة الضيف، وألا ينفقوا إذا حجوا

إلا من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات.

ولما قدم صاحب الفيل خرجت قريش من الحرم فارة من أصحاب الفيل، فقال عبد المطلب: والله لا أخرج من حرم الله وأبتغي العز في غيره.

فجلس بفناء البيت ثم قال:

لهمَّ إن تعف فإنهم عيالك وإلا فشيء ما بدا لـــك

فكانت قريش تقول: عبد المطلب إبراهيم الثاني.

وكان المبشر لقريش بما فعل الله بأصحاب الفيل عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله.

فقال عبد المطلب: قد جاءكم عبد الله بشيرا ونذيرا.

فأخبرهم بما نزل بأصحاب الفيل.

فقالوا: إنك كنت لعظيم البركة لميمون الطائر منذ كنت.

وكان يفرش لعبد المطلب بفناء الكعبة، فلا يقرب فراشه حتى يأتي رسول الله، وهو غلام، فيتخطى رقاب عمومته، فيقول لهم عبد المطلب: دعوا ابني، إن لابني هذا لشأناً.

كان عبد المطلب قد وفد على سيف بن ذي يزن مع جلة قومه لما غلب على اليمن، فقدمه سيف عليهم جميعاً وآثره.

ثم خلا به فبشره برسول الله ووصف له صفته، فكبر عبد المطلب وعرف صدق ما قال سيف، ثم خر ساجداً.

فقال له سيف: هل أحسست لما قلت نبأ؟ فقال له: نعم! ولد لابني غلام على مثال ما وصفت أيها الملك.

قال: فاحذر عليه اليهود وقومك، وقومك أشد من اليهود، والله متمم أمره ومعل دعوته.

وكان أصحاب الكتاب لا يزالون يقولون لعبد المطلب في رسول الله منذ ولد فيعظم بذلك ابتهاج عبد المطلب.

## سنة اللّه مع أنبيائه:

وسنة الله جل شأنه مع أنبيائه أن يحيطهم فيما قبل ولادتهم وأثناء ولادتهم وأثناء نشأتهم بوضع خاص وعناية خاصة تهيئ لهم دورهم المستقبلي العظيم والكبير.

عندما مثلا نقرأ في القرآن الكريم عن ولادة عيسى

عليه السلام، ولادة موسى عليه السلام، نشأة إبراهيم، إلى غير ذلك، الكل أحيط بعناية خاصة، موسى عليه السلام أحيط بعناية خاصة، وأوحى الله إلى والدته في ترتيبات لضمان حمايته من القتل إلى غير ذلك، أعلمت وأخبرت أمه من الله سبحانه وتعالى بأن مولودها هذا رسول ونبي عظيم، ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، أُخبرت أمه بذلك، أخبرها الله، أوحى إليها، الملائكة أيضا في قصة عيسى عليه السلام، تخاطبت مع والدته مريم الصديقة عليها السلام، كلمتها الملائكة، وحدثتها، وبشَّرَتها بأن الله سيجعل لك هذا الولد معجزة بولادته من غير أب، وسيكون له شأن عظيم، وهو رسول من الله وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين، ابنك هذا هو كذا وكذا وله شأن عظيم.

فبالتأكيد يحاطون بعلامات وأحيانا بأكثر من مسألة العلامات كما في قصة موسى وعيسى بوحي مباشر وخطاب صريح وواضح، كما تحدثت الملائكة مع مريم، وكما أوحى الله سبحانه وتعالى وحيًا مؤكدًا وحقيقيًا إلى

أم موسى عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص:٧].

فهذه العلامات التي أحيطت بما قبل ولادة النبي وحين ولادته، وقالوا أنه لوحظ عدة إرهاصات - تسمى بحسب التعبير في السير إرهاصات - أي: علامات ممهدة ومهيئة في الذهنية العامة أن هذا المولود القادم له شأن خاص، له دور مهم، له شأن عظيم، له دور كبير، تهيئ حتى في الذهن، هذه حكمة من الله ورحمة من الله، والله أحكم الحاكمين، لا تأتي النبوة فجأة بدون أن يكون هناك أي مقدمات ولا تمهيد ولا اعتبار ولا أي شيء، لا، يكون هناك تميز، اعتبارات كثيرة تساعد الناس على التقبل وتقيم الحجة عليهم في نفس الوقت.

## الرعاية التي أحيط بها الرسول:

عبد المطلب ذهب مستبشرًا وفرحًا وأخذ هذا الطفل المولود، وذهب به إلى الكعبة تبركًا وتيمنًا وتقربًا إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء هناك، وحمد الله؛ لأن هذه نعمة

كبيرة عليه، أن يرزقه الله بحفيد سيكون خاتم الأنبياء وسيكون سيد الرسل، وسيكون أعظم وأكمل وأرقى إنسان وُجد في البشرية منذ آدم إلى نهاية البشرية، هذا شرف كبير، حمد الله واستعاذ بالله على هذا المولود من كل الحاقدين والحاسدين في أبيات شعرية تذكر في السير.

روى أبو العباس في المصابيح ج ١ ص ١١٦: بأنه لما ولد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخذه عبد المطلب فأدخله في جوف الكعبة، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عزوجل ويقول:

الحمدُ لله الذي أعطاني
هذا الغُلاَم الطّيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان
أعيذه بالواحد المنان
من كل ذي غي وذي شنآن
حتىً أراه شامخ البنيان

واعتنى به جده عبد المطلب عناية كبيرة من حيث التربية والاهتمام والتفقد والرعاية، وهذه أيضا نعمة من

الله، من الأشياء المهمة أنه ينبغي أن لا يغيب في الذهنية، ولا في الحديث ربط كل هذه الرعاية التي أحيط بها رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله بالله سبحانه وتعالى، أنها رعاية من الله وأنها رحمة من الله، وأنها كذلك نعمة من الله سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى:٦].

الله هو الذي آواه، الله هو الذي هيأ له جَدّاً بمثل شخصية عبد المطلب فيما كان عليه من رشد ونضج وفكر وسمو وشرف ومنزلة رفيعة واهتمام كبير، يُقدِّر هذا الطفل، يقدر هذا المولود، يدرك عظمة وأهمية هذا المولود، وفعلًا التاريخ يحكي كيف كان عبد المطلب يتعامل مع هذا الطفل في طفولته المبكرة؛ لأن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله حينما بلغ عمره ٦ سنين، أيضًا توفيت والدته، فأصبح يتيمًا من جهة الأبوين الأب والأم، لكن بقي يحظى بهذه العناية الكبيرة جدًا من جده عبد المطلب.

## فاطمة بنت أسد ودورها العظيم:

قامت فاطمة بنت أسد بدور كبير في العناية برسول الله صلوات الله عليه وعلى آله في مرحلة طفولته المبكرة

(فاطمة بنت أسد) زوجة أبي طالب، قال عنها صلوات الله عليه وعلى آله: ((إنها أمي))، كان يعتبرها كأمه فيما أولته من عناية ورعاية واهتمام في طفولته.

هاجرت فاطمة بنت أسد إلى المدينة وتوفيت بها، ويروى عن رسول الله لما توفِّيت أنه قال: ((اليوم ماتت أمي))، وكفنها رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله بقميصه، فقيل له: يا رسول الله، لقد اشتد جزعك على فاطمة، فقال: ((إنها كانت أمي إن كانت لتجيع صبيانها وتشبعني، وتشعثهم وتدهنني، وكانت أمي)).

فالله يهيئ لأنبيائه ورسله رعاية خاصة وعناية كبيرة تساعد على تأهيلهم نفسيًا ومعنويًا ومن كل الجوانب بالدور الكبير والمسؤولية الكبيرة التي سيتحملونها في المستقبل.

عندما كان رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله في طفولته ما بعد الست سنوات، كان يعتني به جده عبد المطلب عناية كبيرة جدًا وكان يدنيه ويقربه ويكرمه لدرجة ملفتة، كان يأتي رسول الله في طفولته المبكرة إلى جده عبد المطلب وهو بفناء الكعبة وقد فُرش له هناك، وكان لا يفرش لغيره،

لكن لشأنه ومكانته الكبيرة، فيأتي ليجلس مباشرة لجواره أو في حضنه فيذهب أعمامه ليأخذوه، فيقول: "دعوه، دعوا ابني فو الله إن له لشأنا"، يتوسم فيه أن له شأن عظيم، كذلك رُويت أخبار ورؤى كان يراها عبد المطلب في منامه تبشر بهذا الدور الكبير والعظيم لهذا الطفل الناشئ.

## وفاة جده عبد المطلب وكفالة أبي طالب:

توفي جده عبد المطلب وكان يسمى بشيبة الحمد، وكان محط ثناء وإعجاب فيما كان عليه من قيم وشأن كبير في مكة، ولرسول الله صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله من العمر ثمان سنوات عندما توفي جده عبد المطلب، وعَهِد عبد المطلب - بعد حتى تشاوره مع هذا الطفل الصغير - بكفالته إلى (أبي طالب)، أبو طالب هو عم النبي شقيق والده؛ لأن عبد المطلب كان له عشرة أبناء أو أحد عشر ابنًا كما في بعض الأخبار والآثار.

فعبد المطلب كان له هؤلاء الأبناء على أمهات متعددة، فكان أبو طالب وعبد الله شقيقان من أم واحدة كلاهما أولاد عبد المطلب من أم واحدة، عبد الله وأبي طالب، وكان

أبو طالب خير أولاد عبد المطلب وأرشدهم وأفضلهم وأكملهم وأعلاهم مكانة وقدرًا ومنزلةً والمؤهل لخلافة والده في الدور والمكانة في مكة المكرمة وفي قريش.

واعتنى أبو طالب بكل ما يمتلكه من اهتمام ومن تعلق وجداني كبير بهذا المولود المبارك، بهذا الطفل الميمون، عني به عناية كبيرة، بل إنه هو وزوجته فاطمة بنت أسد: أولَيا رسول الله صلواتَ الله عليه وعلى آله من الاهتمام الكبير جدًا ما يفوق بكل حال عنايتهما بأبنائهما، عناية خاصة واهتمام كبير.

هناك اهتمام كبير سبق ذلك بتوصيات أساسية ومؤكِّدة من عبد المطلب نفسه إلى أبي طالب، وهناك أيضًا إدراك لأهمية المسألة من أبي طالب، وحاله كحال أبيه عبد المطلب في النظرة المتميزة إلى هذا المولود المبارك، إلى هذا الطفل الميمون، وعن دوره المستقبلي العظيم الذي تشهد له الكثير من الأمارات والدلائل والآيات المهمة جدًا، والمؤشرات العظيمة جدًا، فعني عناية كبيرة، وكان بينه علاقة حميمية ما بينه وبين ابن أخيه محمد صلواتَ الله وسلامه عليه وعلى آله.

# ما حظي به النبي صلواتُ الله عليه وعلى آله من الرعاية

## نشأته المباركة:

رسول الله نشأ في هذا الجو من الرعاية ومن الاهتمام ومن العناية، وهذه ظروف هيأها الله، من الله سبحانه وتعالى أن يهيئ له هذا الجو وأن يحفه بأولئك الذين أولوه كل هذه الرعاية والاهتمام والحنو والعاطفة وعوضوه عن فقدان أبيه وأمه في يتمه؛ فكانت رعاية من الله ورحمة من الله ونعمة من الله وتهيئة إلهية من الله سبحانه وتعالى.

نشأ نشأةً مباركة، أنبته الله نباتًا حسنًا ونشأة متميزة فكان سريع النمو، وكان أيضًا ذا نضج عجيب، كان ينشأ: يكبر ويكبر معه رشده وفهمه، تمييزه، حسن إدراكه، أدبه، وكان ملفتا فيه هذه النشأة المتميزة من حيث النمو السليم والمبارك، بركة في نموه، يكبر وينشأ نشأة مميزة، وفي نفس الوقت بنضج كبير وعجيب في الإدراك، وفي الفهم، وفي حسن التصرف.

ولم يكن حاله كحال بقية الصبيان في عبثهم، وفي لهوهم، وفي نقص الجانب الأخلاقي لديهم مثلًا في التعري أو في أي شيء، لا، كان متميزًا، كان ملحوظًا فيه الحرص على الطهارة، الحرص على صيانة النفس، البعد عن بعض الأشياء التي تنم عن قلة الأدب وعن ضعف الإدراك لدى الصغار والصبيان؛ فكان مختلفاً عن كل الصبيان وعن كل الصغار، نشأة مميزة وتنم عن أدب عال وراق وأنه محفوف من الله بتنشئة خاصة، ولديه في نفسه قابلية أودعها الله فيه جل شأنه: قابلية عالية.

الإمام علي عليه السلام يحكي لنا في نص مهم وعظيم قال: (وَلَقَدْ قَرَنَ اللّٰهُ به صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطيماً أَعْظَمَ مَلَك مِنْ مَلَائكَته يَسْلُكُ به طَرِيقَ الْمَكَارِم وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَم لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ) فالله سبحانه وتعالى لم يتركه ليكون صنيعة البيئة الجاهلية التي قد تؤثر سلبًا في الإنسان، أو - كذلك - أن يكله إلى تربية الناس بكل ما فيها من القصور تجاه دور ومستقبل كبير وعظيم، تجاه مسؤولية كبيرة وعظيمة جدًا، تجاه مستوى من المطلوب أن يصل إليه هذا القادم ليكون هو في الذروة

بين كل البشر، يبلغ إلى حيث لم يبلغ إليه بشر ولم يصل إليه بشر من الكمال الإنساني؛ فالرسول صلوات الله عليه وعلى آله حظي بهذه الرعاية الإلهية فنشأ نشأة مباركة، وأنبته الله نباتًا حسنًا.

## في مرحلة شبابه صلوات اللّه عليه وعلى آله:

في مرحلة الشباب، في بداية الشباب كذلك، كان متميزًا ولم يتأثر بكل تلك البيئة الجاهلية في مكة وفي غير مكة، فلم يسجدْ لصنم قط، ولم يدنّس نفسه بأي من دنس الجاهلية، كان الوضعُ في الجاهلية فوضى شاملة، المفاسد الأخلاقية، العُريّ، التصرفات الباطلة والسيئة، البغي، التظالم، الانحطاط الأخلاقي، سلبيات كثيرة جدًا كانت قائمة، حالة من الانفلات وغير الالتزام والانضباط لا لشرع ولا لدين ولا لملة، فوضى قائمة، فكان بعيدًا عن التأثر بذلك الجو العام، وقليلٌ من الناس من يكونون على هذا النحو: لا يتأثر بجو وبيئة عامة وطاغية في بلده في منطقته بين قومه لكنه نشأ نشأة مختلفة، ولوحظ فيه أنه لم يكن منسجمًا أبدًا مع ذلك الجو العام.

كان كثير الخُلوة والاعتزال، وقليل الاندماج والاختلاط بالناس في بيئتهم تلك، في ظروفهم تلك، سيما المناسبات السيئة التي تشوبها المنكرات، كان كثير الابتعاد أو يبتعد دائمًا عنها، والابتعاد عن الناس بشكل عام في أكثر ما هم فيه نتيجة لهذا الجو السلبي المشحون والممتلئ بالسلبيات والمنكرات والفساد، وعُرف عنه كثرة التأمل، وعُرف عنه النضج والرشد والحكمة والصواب فكانوا ينظرون إليه بأنه الإنسان الحكيم الذي لا نظير له في حكمته وإصابته وإصابة رأيه.

## الصادق الأمين:

عُرف أيضًا بمصداقيته التي لا نظير لها، وأمانته التي لا مثيل لها، فكانوا يسمونه بـ"الصادق الأمين" وكان له في مكة نفسها هذا التميز الملحوظ، الكل ينظرون إليه بإعجاب وبأنه شخص متميز عن كل الناس فيقولون جاءكم الصادق الأمين، له مهابة إذا شاهده الإنسان مقبلًا يشاهد عليه الوقار والهيبة، وإذا جالسه الإنسان أحبه لأخلاقه الراقية، وقار من دون تكبّر، وهيبة من دون عُجب أو غرور أو استعلاء على الناس أبدًا.

فنشأ نشأة طيبة ومباركة وتنامت فيه كل المؤهلات القيادية، تعززت فيه مكارم الأخلاق، وكان من الواضح فيه ألمه الكبير على الناس، على الواقع القائم، عدم رضاه وعدم اندماجه وعدم انسجامه مع ذلك الواقع؛ لأن الكثير من الناس يتأقلم: أي واقع في أي منطقة أو في أي ظرف يعيش ويندمج معه، يندمج مع أي واقع ويتأقلم، لم يتأقلم رسول الله مع ذلك الواقع الجاهلي ولم ينسجم معه، ولم يذب أو يتلاشى في أخلاقه وتصرفاته ضمن ذلك الواقع، بقي يعيش حالة الغربة من هذا الجانب: أن يرى المجتمع البشري من حوله وهو غارقٌ في ظلمات الجاهلية ورجسها ودنسها، وكان يتعبّد الله على ملة إبراهيم عليه السلام وموحدًا لله سبحانه وتعالى. هذا ما كان عليه إلى أن ابتعثه الله بالرسالة.

## زواجه من خديجة:

في مرحلة معينة من حياته عندما بلغ حسب الروايات سن الخامسةً والعشرين من عمره الشريف قرر الزواج وتزوج بالصديقة الطاهرة (خديجة) رضوان الله عليها،

خديجة بنت خويلد كان لها شأن كبير وعظيم عند الله سبحانه وتعالى، والزواج بها كذلك وراءه الرعاية الإلهية والاختيار الإلهي، وراءه رعاية الله وعنايته بهذا الشاب المبارك، اختار الله له تلك الزوجة لتكون إلى جانبه مؤمنةً به مصدّقةً وسندًا، وليكوّن معها أول نواة للإسلام وأول أسرة مؤمنة، وإلى جانبهم الإمام علي عليه السلام الذي عاش عند رسول الله وتربى عند رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

تحكي السير والروايات والأخبار أن رسول الله اشترك مع خديجة - وكانت ذات ثروة ومال - في نشاط تجاري بالشراكة بالمضاربة، وأن هذا العمل زاد من معرفتها به، فعرفت عن مكارم أخلاقه وشمائله إضافة إلى ما هو معروف به أصلًا في مكة المكرمة؛ فقررت الزواج به، وكان اقترانها به وهي كذلك مثلما كان هو في الخامسة والعشرين كانت على حسب روايات مختلفة ما بين الرابعة والعشرين إلى السابعة والعشرين، ما يقارب هذا العمر.

وليس بصحيح ما تذكره بعض الروايات أنها كانت

طاعنة في السن وأن الفارق ما بين عمرها وعمره كان كبيرًا جدًا وأنها توفيت بعد خمسة عشر عامًا وهي في الستين من العمر وهو في نضج الشباب وكماله، هذا غير صحيح أبدًا.

روايات بعض الجهلة لهم فيها مآرب مذهبية؛ لكن سخيفة! فبعض المشاكل المذهبية أثرت عليهم لدرجة غير لائقة أبدًا، دخلوا في أشياء ومشاكل حتى في القضايا الأسرية لرسول الله صلواتُ الله وعلى آله، (يكبّرون البعض بشكل كبير ويصغّرون البعض الآخر، يقولون: تزوج بخديجة وهي طاعنة في السن (عجوز) وعائشة تزوجها وهي طفلة صغيرة جدًا لا تزال تلعب مع البنات فتؤخذ من بينهن وتُزف إلى بيت رسول الله صلواتُ الله عليه وعلى آله) تفاصيل وأطروحات غير مؤدبة وغير طبيعية حتى في الحالة البشرية والمألوفة لدى البشر والشيء الفطري لدى البشر.

رسول الله صلواتُ الله عليه وعلى آله ما بعد اقترانه بخديجة وزواجه المبارك منها تأمن له استقرار في

حياته وهي قدمت نفسها وثروتها وما تملك في خدمة رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وعرفت بفضله وعرفت بمكانته وعرفت بقدره وقيمته وأعزته ولم تتعامل فقط معه كزوج عادي ترتبط به ارتباطًا عاديًا.. لا، عرفت أن له شأنًا عظيمًا وأهميةً كبيرةً ومستقبلًا مهمًا؛ فكان لها إسهام كبير، وأمَّنَتْ للرسول صلوات الله عليه وعلى آله فرصة لأن يكون له أوقات للعبادة وأوقات للخلوة وأوقات للتأمل.

## كان رسول اللّه كثير التأمل في الكون:

وكان كثير التأمل في الكون والعالم ليس ليعرف هل هناك رب وهو الله أم لا، هذا معروف لديه، هذا كان معروف حتى لدى المشركين: المشركين كل العرب كانوا يقرون بالله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف:٩] ما كانت مسألة الله مجهولة لدى العرب وكانوا يستغربون إذا قال أحد الله فيقولون من هو الله؟ ما هذا الكلام؟ لا، هذا طرح ضعيف جدًا لبعض الكتاب والمؤرخين، ونشاهده في كثير من

المسلسلات التاريخية والسير التي توثق عن السيرة (جهل كبير).

والبعض يقولون هكذا: أن رسول الله أمضى تلك الفترة يبحث هل هناك أحد اسمه الله أو خالق للسموات والأرض؟! لا، هذه مسألة كانت قائمة في الأساس وموجودة وفطرية ومتوارثة بعد الأنبياء؛ لم يكن هذا الموضوع هو الهدف الرئيسي لخلواته وتأملاته، هذه خلوات وتأملات يزداد فيها ارتقاءً وإيمانًا ومعرفةً بالله سبحانه وتعالى وليس بأصل وجوده، هو يعرف هذا.

ثم في الواقع من حوله بالتأكيد كان يفكر كثيرًا في الواقع البشري والحالة القائمة في أوساط الناس وأهمية تغيير هذا الواقع وما يتطلبه تغيير هذا الواقع، ولم يكن هذا غائبًا عن نفسيته وعن ذهنيته وعن اهتمامه وهو الممتعض من ذلك الواقع وغير المنسجم معه نهائيًا فكان أيضًا يجاور بحراء - غار كهف هناك في أحد الجبال في مكة - طيلة شهر رمضان المبارك، يجلس بشكل تام طيلة الشهر في ذلك الكهف يجاور لوحده، ينفرد بالعبادة.

ويقوم بخدمته في تلك الفترة: الإمام علي عليه السلام وهو في مرحلة الطفولة ونشأ عند رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، ويستمر على هذا الحال فترة طويلة من الخلوة، من التأمل، من العبادة، من الاهتمام والتعامل والتعاطي في الواقع بحذر، أي: لم يكن ذلك المنعزل كليًا عن هذا الواقع ولا هو الذائب في هذا الواقع والمندمج فيه والمنسجم معه والضائع فيه.. لا، يختلط بالناس بقدر ويبتعد عن كل الظواهر السلبية والمنكرات، عنده اهتمام بواقع الناس.

## إسهامه في بناء الكعبة:

أسهم في بناء الكعبة عندما أعيد بناؤها في ذلك العصر وكان هو الذي تولى حل المشكلة التي طرأت ما بين قبائل قريش على رفع الحجر الأسود فقدم حلًا حكيمًا حفظ به دمائهم، وكانوا وصلوا إلى درجة الاستعداد للحرب والقتال فيما بينهم، التنازع على أي قبيلة تتولى هي رفع الحجر الأسود في موضعه في الكعبة؛ فقدم لهم ذلك الحل الصائب والسديد عندما طلب قطعة قماش كبيرة

ووضع الحجر فيها وطلب من كل قبيلة أن يأتي زعيمها فيرفع بطرف الثوب فتشترك كل القبائل في رفع الحجر ثم وضعه بيديه الشريفتين في مكانه.

## الرسول كان محاطاً بالرعاية الإلهية:

على كل كان رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله في تلك الفترة في هذا الحال من البناء الإلهي والإعداد الإلهي محفوفا بملائكة الله، مؤمنًا له كل أسباب الرعاية، مطهرًا ومصونًا من أي مؤثرات في ذلك الواقع القائم الذي قد طغى في كل الأرض ومن ذلك في واقع مكة، وصل إلى مكة كل شيء: الوثنية والأصنام والبغي والظلم والفساد والمنكرات والفواحش ووأد البنات وقتل الأبناء، كل المصائب وصلت إلى هناك وغير هناك، عاش مصونًا حتى أذن الله بابتعاثه بالرسالة[1].

❊❊❊

(١) المحاضرة الخامسة من محاضرات المولد ١٤٣٩هـ.

# المرحلة الثانية: البعثة النبوية

## طريقة نزول الوحي :

في ابتعاثه بالرسالة الله سبحانه وتعالى - بلا شك - كان قد هيأه لذلك ببعض أو بكثير من المقدمات، أي: لم تكن المسالة فجأة بشكل صادم لرسول الله هكذا دفعة واحدة، لا، لا بد أن هناك مقدمات، المسألة طبيعية والله هو الحكيم وأحكم الحاكمين في التهيئة لرسول الله وهذا ما ورد في السير والأخبار: بمنامات، بهتافات من الملائكة، بتسليم عليه من الملائكة، بإشارات كثيرة، بأمور كثيرة لا يسع الوقت للحديث عنها والدخول في تفاصيلها.

غير أنه يمكن أن يكون من الأهمية أن نشير إلى أنه لا صحة أبدًا لبعض الروايات التي قدمت صورة فظيعة وحشية خالية من القداسة عن بدء الوحي على رسول الله صلواتَ الله عليهِ وعلى آله، من يقولون في روايات غير صحيحة، نجزم ونقطع بأنها غير صحيحة: بأنه فوجئ

رسول الله وهو في الغار بالظهور المباغت والهجوم المفاجئ لجبريل (عليه السلام) عليه إلى داخل الغار فجأة ليظهر أمامه ويقول له دفعة واحدة (اقرأ) هكذا أي: هجوم مباشر ومفاجئ وبدون مقدمة (اقرأ) فيقول ما أنا بقارئ، أي: أنا لم أتعلم، ما عندي ما أقرؤه؛ فيهجم عليه هجومًا مباشراً ويغطه، في بعض التعبيرات يخنقه وفي بعضها أخذ بخنقه حتى كاد أن يلفظ أنفاسه ثم تركه، ويقول له (اقرأ) فيقول ما أنا بقارئ، ثم يشن عليه الهجوم مرة أخرى! هذه رواية عجيبة جدًا!.

البعض كيف يستسيغون أن يتحدثوا عن جبريل بهذه الطريقة!؟ أي معلم في واقعنا البشري لو يتصرف بهذه الطريقة لتعرض لانتقادات كبيرة، أما في بعض المناطق فسيتعرض للطرد من المدرسة (كيف تتعامل مع الطلاب على هذا النحو!).

يقولون في بعض التعبيرات: فغطَّه مرة ثانية حتى أيس من نفسه، أي: ظن أنه سيموت من ذلك الهجوم الشديد والعنيف جدًا الذي خنقه فيه حتى كاد أن يموت

ثم تركه ليستعيد نفسه بعد أن كاد أن يموت! أي حالة رهيبة وفظيعة ثم يقول له: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)!.

هذه الرواية وهذه الطريقة لبدء الوحي ليست صحيحة أبداً وفيها إساءة واستفاد منها أولئك المشككون والمرتدون والمستشرقون، منها ومن أمثالها من الروايات التي تقدم عملية الوحي عملية غريبة جدا خالية من كل تلك الأجواء المقدسة التي عرضها لنا القرآن في وحي الله إلى موسى عليه السلام، إذ لا يوجد فيها خنق ولا فيها (غطّه حتى كاد أن يلفظ أنفاسه) ولا فيها أي شيء من هذه الإجراءات التي تأتي بغتة بدون مقدمات.

كيف كانت عملية الوحي إلى موسى عليه السلام؟ أولاً يرى نارًا هناك تلفت نظره ليذهب إليها لوحده، يقترب فيرى ناراً غير محرقة، يرى نارًا نورانية تتوقد بالنور في الشجرة، يخاطب بخطاب مقدس، يرحب به، يرشد إلى قداسة هذا المكان ويوجه بخلع نعليه، يتقدم وهو يعرف من يخاطبه والجهة التي تتخاطب معه، ويرى الملائكة حافين بذلك النور وهكذا، أي: عملية كلها قداسة، كلها

اطمئنان، كلها رحمة، وحفت بالطمأنة له: أن لا يخاف، وأن يطمئن، وأن خطابه من الله،... إلى آخره.

بالتأكيد لم تكن عملية التخاطب مع رسول الله بتلك الوحشية، بتلك الطريقة الغريبة والفظة والتي فيها غط وخنق وما شابه، كانت بطريقة مختلفة.

رسول الله صلواتُ الله عليهِ وعلى آله لم تكن رؤيته لجبريل كما يبدو من خلال القرآن الكريم في الغار هذا، أولًا لقد رآه خارج الغار، ورآه في أفق السماء قادمًا أي: لا تأتي المفاجأة عليه إلى داخل الغار، فلا ينتبه إلا بظهوره عليه هكذا فجأة داخل الكهف لا، وهو خارج الغار الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ [التكوير٢٣] أي: رأى جبريل ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ بالأفق في جو السماء نازلاً إليه، وفي جوٍ لا لبس فيه ولا ارتياب ولا شكوك، جو واضح ورآه رؤية العين ورؤية الفؤاد وعرف المسألة بوضوح.

كثير من الأخبار والروايات الصحيحة ذكرت كيف أنه رآه وهو نازلٌ بالأفق المبين الواضح ووصل إليه وسلم عليه وعَّرفه على نفسه أنه جبريل وأنه نازل بالوحي عليه

وأقرأه السلام من الله، وجلس إلى جانبه في جوٍ ليس فيه غط ولا خنق ولا أي هجوم وحشي، لا، ليست حلبةً مصارعة لا، جو مقدس وجو عظيم وجو راقٍ، فتحدث معه وأقرأه السلام من الله وأخبره بآياتٍ ودلائل حتى يطمئن نفس رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، وأبلغه بالبعثة بالرسالة.

## أول ما نزل على الرسول هي سورة الفاتحة

طبعا نحن أيضًا نذهب إلى أنه ليس أول ما نزل من القرآن سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، ونذهب إلى ما روي عن الإمام علي عليه السلام وعن كثير من أئمة أهل البيت عليهم السلام وكثير من مفسري الأمة وعلمائها إلى أن أول سورة نزلت من القرآن الكريم هي سورة الفاتحة: فاتحة الكتاب وأم الكتاب هي أول سورة نزلت من القرآن وحتى مضمونها هي أشبه بعناوين عامة تشمل محتوى القرآن ثم يأتي القرآن الكريم كتفاصيل لهذه العناوين، وهي أعظم سورة في القرآن حسب المعروف بين الأمة عن رسولها ونبيها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، أعظم سورة في القرآن والسورة الجامعة التي محتواها كل ما

ورد في القرآن من تفاصيل ولهذا فرضت علينا قراءتها في الصلاة، ولا تصح صلاة إلا بقراءتها على العكس من بقية السور القرآنية يمكن أن تقرأ ما تيسر من القرآن، أي سورة.

فأول ما نزل من القرآن الكريم في سورة الفاتحة، وليس بالضرورة أن تكون عملية نزول القرآن في أول لقاء وفي أول رؤية مع جبريل، وحالة الرسالة هي حكيمة ومتدرجة ومنظمة إلى آخره.

ونزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان، بالنسبة للبعثة البعض يقولون في شهر رجب كانت البعثة، والبعض يقولون في شهر رمضان، والبعض لهم أقوال أخرى، ولكن من المؤكد يقينا أن نزول القرآن ابتدأ في شهر رمضان الكريم لأن الله قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة١٨٥] وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر١].

فنزول القرآن لم يكن في غير شهر رمضان ابتداؤه، أما فيما بعد فكان ينزل في فتراتٍ وفي أوقاتٍ متعددة

بحسب اعتبارات كثيرة، منها: اعتبارات عملية ومنها غير، فابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان المبارك كما يؤكده القرآن وهذا أمر لا التباس فيه.

## التحرك بالدعوة

بعد ابتعاث الرسول بالرسالة بدأ نشاطه بالرسالة من محيطه الأقرب، دعوته هي دعوة عامة ودين للعالمين، وهو رسول إلى العالمين، وحركته بالرسالة حركة منظمة تبدأ بمراحل: مرحلة إثر مرحلة بطريقة حكيمة وبنَّاءة وعظيمة وناجحة، بدأ بمحيطه الأقرب.

أول نواة للإسلام وأول نواة للرسالة الإلهية: - إيمانًا بها وتصديقًا بها والتزامًا بها - رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزوجته خديجة وعلي بن أبي طالب الذي كان باقيًا عنده ويعيش لديه ويتربى عنده، فكان أول بيت إسلامي وأول نواة للإسلام هي هذه النواة، واستمرت لسنوات - هذه النواة - كما ورد في أخبار كثيرة.

ثم امتدت إلى المحيط العشائري القريب من الرسول،

قال الله سبحانه وتعالى للرسول صلوات الله عليه وعلى آله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء ٢١٤] فبدأ بعشيرته الأقربين؛ لأن الإسلام دين لا بد له من أمة تحمله ولا بد له من نواة تتحرك به، تؤمن به وتحمله كمشروع لها؛ فلوحظ هذا: تأسيس نواة لهذا الدين منذ الحركة الأولى، منذ بداية المشوار فكانت عشيرته الأقربين: بنو هاشم وبنو المطلب، ثم بعد ذلك توسعت هذه الدائرة في بقية مكة ووصل إلى مرحلة الصدع بالرسالة بين قريش بكلها ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)﴾ [سورة الحجر].

بعد سنوات البعض يقدرها بثلاث سنوات بدأت مرحلة تعميم الدعوة في وسط قريش وبالتالي تصل أرجاؤها إلى كل المنطقة العربية.

## مكة أول منطقة تحتضن هذا النشاط الرسالي:

كان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون أول منطقة تحتضن هذا النشاط الرسالي وحركة الرسول بالرسالة

هي: مكة، هذا عامل مهم جدًا في وصول صوت الإسلام وصدى الإسلام إلى كل أنحاء الجزيرة العربية، وأبعد من ذلك وأبعد من الجزيرة العربية؛ ذلك لأن العرب والوفود كانت تأتي إلى مكة من كل صوب، وبالتالي عند أي خبر مهم انتشر في مكة ستتناقله تلك الوفود إلى مناطقها ويصل إلى الناس، وهذا يمهد فيما بعد لقابلية الإسلام آنذاك، حيث لا يوجد قنوات فضائية ولا إذاعات، وإنما تنتشر الأخبار بطريقة النقل الشفوي والنقل البشري، يسمع الإنسان وينقل إلى بلده.

فكانت مكة خير مكان وأنسب مكان، ومنطقة تبدأ فيها حركة الإسلام ليصل صداه وصوته حتى عندما تأتي الظروف العملية والملائمة في انتشار هذا الإسلام عملياً يكون قد وصل صداه والمعرفة عنه والمعرفة بطبيعة هذا المشروع الإلهي: عناوينه، مميزاته، خلاصة دعوته إلى أرجاء العرب كافة وأبعد من العرب.

خلال هذه الفترة أسلم القليل في مكة، وكانت الدعوة إلى الله وكانت هذه الرسالة بدعوتها للتوحيد خروجًا

في نظرهم عن كل ما هو سائد لديهم من عقائد وتقاليد وثقافات هم متمسكون بها ومصرون عليها ومقدسون لها، أي: كانت تمثل بالنسبة لهم صدمة ومشكلة كبيرة جدًا، ثم تشكل في نظر الملأ والمستكبرين منهم خطرًا على نفوذهم القائم على أساس تلك الضلالات والانحرافات والمستفيد منها، هذه مشكلة لديهم.

هذا لربما من أكبر ما صعب الأمور وعقد الأوضاع: أن كثيراً من الزعامات آنذاك بنت زعاماتها ونفوذها وسلطتها وهيمنتها على المجتمع بناء على ذلك الواقع: تمارس التسلط، تمارس الظلم، تمارس الطغيان، تمارس النهب، تمارس المكر، سلوكيات كلها تصطدم مع الإسلام وتدخل في مشكلة مع الإسلام الذي لن يقبل بها أبدًا.

واستفادت حتى من الوثنية وما فيها من خرافات، كله جوٌ يساعدهم على تعزيز السلطة ووفرة المال والحصول على الثروة؛ فكانت هذه البيئة العامة التي رأت في هذه الدعوة وهذه الرسالة أمرًا متناقضًا معها، أناس أشداء، الواقع العربي نفسه كان العرب فيه شديدون جدًا،

والمجتمع القرشي نفسه مجتمع شديد وعنيد ومتعنت وخَصِم، لجوجين جدليين معاندين أي: بيئة مليئة بالجو المناقض لهذه الرسالة، ومشحونة وشديدة وليست بيئة سهلة، البيئة لم تكن بيئة سهلة أبدًا.

وهذا يلفت نظرنا إلى مسألة مهمة جدًا وهي ما كان عليه رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، أولًا: من الإيمان العظيم بالله والثقة العجيبة بالله سبحانه وتعالى. فهو لم يستوحش أنه سيَقدم بهذه الرسالة في هذا العالم ويحمل لواءها ويتحرك بها في عالم كله من حوله ممتلئ بالظلمات والباطل والكيانات الكثيرة المتكتلة حول هذا الباطل وحول هذا الضلال والقوى المتعددة في الساحة التي ترعى وتحمي هذا الضلال والباطل، أي: ذلكم الضلال وذلكم الباطل المنتشر في أرجاء الأرض والطاغي في الواقع العربي، وكذلك المسيطر في الوضع في مكة لم يكن بدون رعاة، ولم يكن بدون حماة، ولم يكن بدون من يحمله، يروج له، يحميه.. لا.

كيانات، وزعامات، وقوى لها قدرتها العسكرية، قدرتها

المادية، نفوذها بين أوساط المجتمع قابليتها العالية بين أوساط المجتمع؛ فمعنى أن يتحرك بهذه الرسالة أنه سيدخل في خصومة ومشاكل لا أول لها ولا آخر: بدءًا من محيطه القريب في مكة من قومه من قريش الذين سيصطدمون بهذه الرسالة ويكذبون ويتعنتون ويحاربونها بكل ما يستطيعون، امتدادًا إلى بقية الواقع العربي وامتدادًا إلى غير الواقع العربي، الكيانات والدول الكبيرة القائمة آنذاك أمثال الروم وأمثال فارس.

كذلك الانتماءات المللية: اليهود هناك، النصارى هناك في ملتهم، اليهود هناك في ملتهم، الوثنيون هناك في ملتهم، الكل يرى في هذه الرسالة تناقضًا معه واختلافًا معه، وكذلك خطورة على ما بنى عليه واقعه المظلم والظالم والفاسد. فالكل سيحتك، والكل سيدخل في إشكال كبير تجاه هذه الرسالة.

الرسول كان مستأنساً بالله ومتوكلا على الله واثقا بالله، وتحرك غير مكترث بهذا الواقع الكبير من حوله، وبطريقة حكيمة وصحيحة، حظي في حركته بحماية

كبيرة من عمه أبي طالب وقبل ذلك هي حماية الله، وكذلك من أسرته بني هاشم وهذا ساعده في الجو المكي في الوضع القرشي هناك.

## قريش في مواجهة الدعوة:

بدأت حالة الإقبال على الإسلام تتحسن ولكن واجهت قريش هذا الإسلام أولًا: بالاعتداء على من يسلم سيما إن كان ضعيفًا ليس له حماية من قبيلته أو من أسرته، أو هو من أسرة ضعيفة لا تتمتع بمكانة اجتماعية تستطيع أن توفر له الحماية؛ فتعرض الكثير ممَن أسلموا للاضطهاد والظلم الشديد جدًا، وكان من أوائل من تعرضوا لهذا الظلم والاضطهاد: أسرة من اليمن ياسر والد عمار بن ياسر وابنه عمار وكذلك أم عمار (سمية)، هذه الأسرة تعرضت للظلم والاضطهاد الشديد ووصلت حالة الاضطهاد والظلم إلى استشهاد والد عمار وأمه فكان والده وكانت أمه أول الشهداء في الإسلام نتيجة للتعذيب.

## الهجرة إلى الحبشة:

الحكاية طويلة جدًا في التاريخ، الرسول صلوات الله عليه وعلى آله ابتعث - كحل عاجل لهذه المشكلة - بعضًا من ضعفاء المسلمين إلى الحبشة في هجرة إلى هناك، وأرسل معهم جعفر بن أبي طالب ليكون أميرًا لهم ومسئولًا عنهم ومعتنيًا بالحفاظ عليهم ورعايتهم. كان ملك الحبشة رجلًا متزنًا وعادلًا استقبلهم وآواهم، بل وأسلم.

العهد المكي كذلك استمر فترة طويلة: صراعات كبيرة واجه فيها الرسول حملات دعائية كبيرة جدًا، باتهامات توجه له على أنه مجنون، وعلى أنه ساحر، وما معه من المعجزات - ومنها القرآن بل هو أعظمها - إنما هو سحر يؤثر، إلى غير ذلك.

لم يكترث، كان قويًا بقوة هذه الرسالة، رسالة قوية، مبادؤها قوية، أخلاقها قوية، مضامينها قوية، وفعالة جدًا في أثرها في الإنسان، وفي فاعليتها في الحياة، وفي أنها صلة مع الله سبحانه وتعالى، يحظى من تمسك بها بمدد من الله وعناية من الله ورعاية من الله سبحانه وتعالى.

## البحث عن بديل عن مكة:

العهد المكي استمر ثلاثة عشر عامًا، في بعض الأخبار والسير، انتهى العهد المكي لاعتبارات متعددة:

أولها: أن أهل مكة والوضع في قريش وصل إلى نهاية الطريق، من هو قابل للإيمان قد آمن، والبعض إما مستضعفون لم يجرؤوا على إظهار إيمانهم، وإما قد حق القول على أكثرهم، كما ورد في القرآن، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:٧]، ميؤوس من إيمانهم، خلاص، لم يحظوا بهذا الشرف وأن يكونوا هم حملة هذه الرسالة.

ثانيًا: توفي أبو طالب وتوفيت خديجة وأصبحت حياة الرسول بعد وفاة أبي طالب وبعد حنق قريش الكبير واشتداد الخصومة مع الرسول والإسلام أصبحت حياة الرسول مهددة بالخطر، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] مكروا به إما لأن يسجنوه وإما لأن يقتلوه وإما لأن يخرجوه.

أيضاً الدور الذي يراد من مكة في حال لم يقبل أهلها بالإسلام هو انتشار صدى الإسلام وقد حصل هذا فقد انتشر صدى هذا الإسلام، وأقيمت الحجة الكاملة على قريش، قال الله للرسول: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات:٥٤]، ما عليك لوم، أتممت عليهم الحجة، صبرت عليهم بما يكفي وهم الألداء الأشداء، المعاندون اللجوجون المخاصمون المجادلون، الذين لم يتركوا لأنفسهم الفرصة الكافية لأن حتى يتفهموا لهذه الدعوة، وكانوا يقولون: ﴿لَاتَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦][1].

❋❋❋

(١) المحاضرة الخامسة من محاضرات المولد ١٤٣٩هـ.

## المرحلة الثالثة: العهد المدني

أتت مرحلة العهد المدني الذي هاجر فيه الرسول إلى المدينة، كان عرض منذ السنة العاشرة نفسه على القبائل، عرض عليها الإسلام، وأن تحظى بشرف الإيواء والنصرة لهذا الدين، وأكثرها رفضت حتى قابل وفدًا من يثرب، هذا الوفد أسلم وقبل وعاد، وفي المرة الثانية عادوا بعدد كبير، وكانت بيعة العقبة الأولى، ثم بيعة العقبة الثانية، وابتعث الرسول بعد بيعة العقبة الأولى مصعب بن عمير رضوان الله عليه إلى المدينة. نشط مصعب بشكل كبير في المدينة حتى أصبحت المدينة جاهزة لاستقبال الرسول والرسالة[1].

### الأوس والخزرج وسبب وجودهما:

من المهم جداً أن نتعرف على الأنصار (الأوس والخزرج) ففي قادم التاريخ كان الأوس والخزرج القبيلتان اليمانيتان ذخرا لنصرة النبي صلوات الله عليه وعلى آله،

(١) المحاضرة الخامسة من محاضرات المولد ١٤٣٩هـ.

والمؤرخون يذكرون في التاريخ أنه حينما ذهب الملك (تُبَّع اليماني) إلى مكة ووصل إلى تلك المنطقة، التي وردت آثار في آثار الأنبياء السابقين أنها مُهَاجر خاتم الأنبياء، ما بين عير وأحد (جبلان) تلك البقعة ما بين هذين الجبلين أنها مهاجر خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، تحكي الآثار ويحكي التاريخ أن تبع حينما وصل إلى هذه المنطقة خلّف فيها هاتين القبيلتين ليبقيا في ذلك المكان ويسكنا فيه، ويستقرا فيه، ويرابطا فيه، ويبقيا حتى يأتي هذا النبي ويهاجر إلى هذا المهاجر، إلى تلك البقعة فيكونان أنصارا له.

وفعلاً بقي الأوس والخزرج، واستوطن الأوس والخزرج تلك البقعة وأعمروها وسكنوا فيها واستقروا فيها جيلًا بعد جيل، حتى أتى الوعد الإلهي وحتى أتى خاتم الأنبياء رسول الله محمد صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله، فكانوا هم الأنصار الذين استجابوا بكل رغبة، كان انتماؤهم للإسلام انتماء الإيمان وانتماء النصرة والجهاد ورفع راية الإسلام والإيواء لرسول الله صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله، فكانوا كما قال الله عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا

﴿الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩].

كانوا هم الذين تبوءوا الدار، سكنوا تلك البقعة وسبقوا إليها منذ القدم منذ زمن بعيد، منذ أجيال بعيدة، سبقوا إليها وتواجدوا هناك ليكونوا ذخراً للنصرة، وحين أتى الموعد كانوا هم الأوفياء مع الوعد الإلهي والمستجيبين بشكل مسارع ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾.

وما أعظم هذه العبارة، استوطنوا الإيمان كما استوطنوا الدار، إيمان راسخ، إيمان ثابت، إيمان عظيم، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من قبل المهاجرين الآخرين.

قال عنهم أيضاً في عبارة مهمة وعظيمة في كتاب الله الكريم، وهو يحكي عما قبل هجرة النبي إليهم، يحكي عن تعنت الكافرين في مكة، عن تعنت قريش حينما قال: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩].

فمن هم هؤلاء الموكلون؟ من هم هؤلاء الذين كانوا

ذخرًا إلهيًا جعلهم الله سبحانه وتعالى معدين لهذه المسئولية ولهذا الدور وللاضطلاع بهذه المسؤولية وللتحمل لهذه المسؤولية العظيمة ولنيل هذا الشرف الكبير؟ الأنصار: الأوس والخزرج (القبيلتان اليمانيتان)[1].

حظى أهل يثرب الأوس والخزرج بشرف أن يكونوا هم الذين استبدلهم الله، واختارهم لحمل هذه الرسالة بدلًا من قريش ومكة التي عصت وأبت وتمردت، وترك رسول الله مكة برغم قداستها، وبرغم أهميتها، وبرغم وجود بيت الله الحرام فيها، وأصبح خادم الحرم الذي يتزعم الوضع في مكة ويزعم أنه الأولى بالله وببيته وبدينه وبكل شيء، أصبح: أبو جهل وأبو سفيان وأبو لهب ومن معهم وغيرهم من المشركين، وترك الرسول مكة ببيتها الحرام وبكل ما فيها، وذهب إلى المدينة.

بنى في المدينة مسجدًا (بيتًا لله) تتحرك منه رسالة الإسلام، وقام بخطواته بعد أن وصل إلى المدينة، من

(١) المحاضرة الأولى في المولد ١٤٣٩هـ.

بناء المسجد، من الإخاء بين المهاجرين والأنصار وبين المؤمنين كمؤمنين، الوثيقة التي نظم بها الوضع في تعايش سكان المدينة، وتعزيز الروابط بينهم، ليلتفوا حول الإسلام، والتعايش حول دولة الإسلام التي سيبنيها هناك.

بدأت مرحلة جديدة بني فيها كيان الإسلام بشكل عظيم، وكانت مرحلة الهجرة هي مرحلة ميلاد الأمة، ولهذا اختيرت للهجرة.

## الصراع المسلح:

بدأت مرحلة الجهاد، بدأت مرحلة الصراع المسلح مع قريش، الذين دخلوا في مراحل جديدة، بدءًا بسعيهم لحصار الرسول اقتصاديًا، فواجه هذه الخطوة واستهدف قوافلهم، فعمدوا إلى حربه عسكريًا فتصدى لهم، فكان رسول الله صلواتُ الله عليه وعلى آله نبيًا ورسولًا عظيمًا، هو خاتم الأنبياء والرسل وسيدهم، واجتمع فيه كل ما لدى الرسل السابقين جميعًا، حمل عن كل الرسل والأنبياء كل المواصفات العظيمة في عبوديته لله سبحانه وتعالى في

كل جوانبها: الروحية والعملية والأخلاقية والسلوكية، والقتالية، كان الرجل العظيم والصابر والثابت والحليم، والذي يعفو عند المقدرة، والصابر أمام الشدائد والمحن، والبطل والشجاع والعظيم، وكان أعظم قائد عسكري عرفه التاريخ.

البيئة العربية كانت بيئة شرسة جدًا، بيئة محاربة، والعرب كانوا شرسين جدًا في القتال، مقاتلين وخصمين، وأبسط الأشياء تسبب حربًا شرسة جدًا فيما بينهم، والبطولة في القتال من أهم ما يتفاخرون به، ومتمرنون ومتمرسون على القتال ومعتادون عليه.

وفي هذه البيئة التي خاصمته، وحاربته، وصارعته، وتوجهت وتحركت ضده؛ لم يكن ضعيفا أبدًا، كان عظيمًا بعظمة هذا الإسلام الذي أتى به، بعظمة القرآن والهدى الذي أتى به، فكان هو أول المؤمنين به وأول المسلمين الذي جاء بالصدق وصدق به، وجسد تطبيق تلك التعليمات، وجسد تلك الأخلاق في واقعه والقيم العظيمة، أدار أكثر من ثمانين واقعة من الغزوات والسرايا

في حروبه، مع كل تلك الفئات التي تكالبت عليه، وحاربت وعادت، وتحركت بعدائية شديدة جدًا ضده وضد الإسلام، وضد المسلمين في مراحلهم الأولى.

أدارها بإدارة عسكرية لا نظير لها ولم يسبق لها مثيل، ولم يأت بعدها مثيل لها، وعظمة الإنجاز الذي تحقق للرسول صلواتُ الله عليهِ وعلى آله يفوق كل خيال، وينبهر منه كل متأمل في التاريخ، ولا يجد له حالة مشابهة فيما قبله ولا فيما بعده.

## ما الذي تحقق للبشرية؟

الرسول صلوات الله عليه وآله صنع إنجازًا عظيمًا ينبهر منه الإنسان، لقد تمكن من خلال ارتباطه بالله وحركته بتعليمات الله سبحانه وتعالى، من إحداث أكبر تغيير في بيئة معقدة وصعبة جدًا، بيئة فوضوية، بيئة معاندة، بيئة شرسة، هذا الواقع العربي، وبيئة منفلتة، "ما عندها انضباط لا لشرع ولا لنظم ولا لشيء أبدًا"، بيئة جاهلة يصعب تفهيمها، فتح الله به آذانًا صمًا، وأبصرت

به أعين - كذلك - عميًا، وفتح الله به أفئدة غلفًا، أي: أمر صعب أن تفهم أولئك الناس، حقائق كثيرة جدًا، أمة مليئة بالخرافات والأباطيل، والموروث الجاهلي الذي أصبح عقائد كبيرة، الأصنام عندهم مقدسة، الحديث عنها مباشرة يفتح مشكلة، يفتح مشكلة عندما تتحدث عن الأصنام هذه الآلهة، هذا يفتح مباشرة معهم مشكلة كبيرة.

أي: واقع ساخن، وصعب، ومعقد، ويصعب تفهيمه بحقائق كثيرة جداً، الحقائق التي امتلأت بها آيات القرآن، عن الكون والحياة ومعرفة الله والمبدأ والمعاد، و، و...، وصولًا إلى التغيير للعادات والتقاليد ونظام الحياة وفرض التزامات ونظم إسلامية، تضبط بها الحياة لأمة فوضوية ليست متعودة على ذلك نهائيًا، فتزاح من حياتها عقائد كانت مقدسة لديها وكانت راسخة، وعادات وتقاليد كانت معتادة وموروثة، ومتمسك بها جداً، والمساس بها يفتح حروبًا وصراعات ومشاكل وعداء شديداً، وتواجه فيها زعامات وتكتلات قبلية، وتواجه أيضًا فيما وراءها كيانات دولية، فكان واقعًا كبيرًا وعجيبًا.

صنع إنجازًا عظيمًا، تغير الواقع العربي خلال فترة عشرين عامًا غير فيه واقع الجزيرة العربية، تلك العقائد انتهت، تبدلت بنور الإسلام، تلك العادات والتقاليد انتهت، المجتمع الذي كان مجتمعًا فوضويًا توحد تحت راية الإسلام، وأصبح منضبطا لتعاليم الله سبحانه وتعالى، وخاضعًا للإسلام، ولحكم الإسلام، ولأمر الإسلام وأمر رسول الله صلوات عليه وعلى آله.

حسم صراعاته العسكرية بأكثر من ثمانين ما بين سرية وغزوة، منها: غزوات كبيرة، ومواقف كبيرة، بدؤها (بدر) وختامها (حنين) بالنسبة للواقع العربي، مع اليهود كذلك: مع بني النظير، مع بني قينقاع، مع بني قريظة، مع خيبر، مع يهود فدك، مع يهود تيماء، مع يهود وادي القرى، أيضًا بدأت حالة الصراع مع الروم، مع النصارى، كانت واقعة مؤتة، ثم بعدها كذلك غزوة تبوك، ولا يسعنا الدخول في التفاصيل.

صارع كل القوى التي تكالبت واستنفرت كل إمكاناتها الإعلامية والعسكرية، وكل أنشطتها وقدراتها المادية

والبشرية في مواجهة هذا الإسلام، لكن نجح رسول الله صلوات عليه وعلى آله في مهمته الرسالية أعظم نجاح بأقل التكاليف.

لاحظوا مثلاً لو أن رسول الله صلواتُ الله عليه وعلى آله عندما قال له جبريل مثلا: مهمتك عالمية، أنت رسول للعالمين، قدم هذا الدين إلى كل البشر، أوصل رسالة الله إلى العباد، أقم للإسلام كيانًا... إلخ، يقول: "لكن هذا مشروع كبير ويحتاج ميزانية ضخمة، ويحتاج إمكانات هائلة، ويحتاج أعداد كبيرة من البشر ! لا، لا ليس لديه لا شرط ولا قيد، بدأ يتحرك بمفرده"، ثم بالقلة القليلة من المؤمنين معه، ثم اتسعت هذه الدائرة شيئًا فشيئًا، بإمكانات بسيطة ومتواضعة.

لم يحتج إلى دعم أجنبي من قوى ومكونات ليست ضمن الكيان الإسلامي، أطراف أخرى غير مسلمة، مثلاً يستمد من الفرس أو من الروم أو من بعض الوثنيين العرب، أو يستفيد من صراعات هنا أو هناك ليعتمد عليها وهي من خارج دائرة الإسلام، أبداً.

يعتمد على التمويل الإسلامي، فيمن قد أسلم من إمكاناتهم المتواضعة جدا، بإمكانات متواضعة، لم يحتج مثلًا أن يقول لله جل شأنه: "أنا أريد منك خمسة جبال تحولها لي ذهب، تكون ميزانية لي، حتى أستطيع أن أعمل"، لا. تحرك بالمتاح وبالممكن، وعلّم المسلمين ورباهم على هذا الأساس، أن يتحركوا بأنفسهم وأموالهم وقدراتهم وطاقاتهم، وأن يثقوا بالله سبحانه وتعالى، فهو سيبارك فيهم، وفي قدراتهم، وفي طاقتهم، وسينميهم وينمي ما معهم، ويزيدهم خيرًا، ويبارك لهم، ويحثهم بالإعداد لما استطاعوا من قوة، ويعلمهم الحكمة ويزكيهم، ويطهر أخلاقهم.

طهر الساحة العربية من تلك العقائد والخرافات، من أرجاس الجاهلية، "فمنعت الفواحش وطهرت الساحة العامة وتحسن الوضع الاقتصادي للأمة، وانتشر نور الإسلام وعم الجزيرة العربية، لينشئ كيانًا عظيمًا متميزًا، وبأقل كلفة من الخسائر البشرية، هذا شيء عجيب، هذا معجزة.

الرسول صلواتُ الله عليه وعلى آله مع تلك الحروب، مع الصراع المرير والشديد جدًا مع الذين حاربوه من العرب وحاربوه من اليهود وحاربوه من النصارى، يُحصي ويحصر بعض المؤرخين أن عدد القتلى في مجموع كل تلك الحروب إلى حين انتهت، إلى حين وفاة رسول الله صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله - من أصحابه من المسلمين ومن أعدائه من الكافرين بكل فئاتهم - لم يكن بأكثر من ألف وأربعمائة قتيل، هذه قصة عجيبة جدًا، تحديات كبيرة، أعداء شرسين جدًا وبأقل كُلفة من الخسائر البشرية، وأقل كلفة من التضحيات والخسائر المادية.

وحقق إنجازًا استثنائيًا وصنع تغييرًا جذريًا، الأشياء التي كانت عادات ولم يكن أحد يتخيل أن يستطيع العربي أن يتركها مثل شرب الخمر مثلاً تركوه، وأشياء كثيرة، تغيير جوهري وجذري كبير، وتوجيه نحو أهداف سامية ونحو مبادئ عظيمة.

مع أنه واجه صعوبات كبيرة حتى في الواقع الداخلي كحركة المنافقين، حركة الذين في قلوبهم مرض، ضِعاف

الإيمان الذين كانوا يترددون، الإساءات التي كان يعاني منها، قلة الأدب من كثير؛ حتى من المسلمين في التعامل معه، لكنه كان أكبر من كل تلك العوائق والتحديات؛ لأنه كبُر بهذا الدين الذي أتى به فكان أعظم منْ آمن به، وجسده، وتأثر به، وتحرك به[1].

## ما الذي صنعته الرسالة المحمدية على مستوى العالم؟

الرسالة الإلهية - من خلال حركة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بها بعد مبعثه الشريف هاديًا ومعلمًا ومربيًا، مجاهدًا وصابرًا ومضحيًا - غيرت الواقع بكله، على الجزيرة العربية بكلها، لتمتد آثار ذلك التغيير وبمستويات متفاوتة إلى أرجاء الدنيا بكلها، والأمة التي كانت متفرقة وجاهلة وظلامية وأخافها في يوم من الأيام فيلٌ واحد في مقدمة جيش تغير واقعُها بعد إسلامها بعد أن تنورت بالنور، واستبصرت بالهدى، وزكت بالقرآن وبتربية

(١) من المحاضرة الخامسة للمولد ١٤٣٩هـ.

الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فواجهت جيوش الإمبراطوريات والدول الكبرى المستكبرة، ولم ترهب جيوشها التي كانت تأتي بأعداد كثيرة من الفيلة، كانوا يتوقعون أن يخاف المسلمون مجددًا إذا شاهدوا الفيلة كما خافوا قبل إسلامهم من فيل واحد، فأتوا بالكثير من الفيلة فلم تخف، لم يخف المسلمون فيما بعد، وقويت عليها بقوة الحق، وانتصرت بنصر الله، حينما تحولت إلى أمة حملت أعظم مشروع وأقدس قضية، وحينما تحولت إلى أمل لكل المستضعفين في الدنيا غير مؤطرة بعنوان جغرافي ولا بلون ولا بعرق ولا بقومية بل بخطاب القرآن لكل الناس الذي يقول فيه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

لقد استطاع الرسول صلى الله عليه وعلى آله بحركته بالقرآن وبما منحه الله تعالى من مؤهلات عالية وكمال عظيم، وبتأييد الله تعالى أن يصنع تغييرًا مفصليًا في التاريخ، وأن يؤسس لعهد جديد ختم به رسالات الله تعالى إلى الأنبياء، ومن معجزات الرسالة الإلهية أن رافعتها وحملتها وأتباعها وأنصارها والمنتصرين بها هم المستضعفون وليس المستكبرون.

لم يكن انتصار الرسالة الإلهية مرهونا بقوى الاستكبار، بل كانوا هم على الدوام أعداءها والمختلفين معها لأنها تُناقض أطماعهم وطغيانهم واستعبادهم للبشرية، بل كان المستضعفون هم الذين يؤمنون بها ويعتزون بها ويقوون بها ويتغير واقعهم بها بعد أن يغيروا ما بأنفسهم.

## الرسالة الإلهية هي المشروع الوحيد القادر على إحداث التغيير الحقيقي للواقع البشري

والرسالة الإلهية هي المشروع الوحيد - ليس هناك أي مشروع آخر - هي المشروع الوحيد القادر على إحداث التغيير الحقيقي للواقع البشري، لتقديم الحلول الواقعية للبشر؛ لأنها مشروع شامل يتجه للإنسان نفسه، فيغير ما بنفسه من ظلمة ودنس، فإذا صلح الإنسان صلحت الحياة بكلها وصلح واقعه؛ لأنها مشروع يصنع الوعي ويزكي النفس ويأخذ بيد الإنسان في الحياة في الطريق السوي ويهدي للتي هي أقوم قال الله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:٩].

ولأنه مشروع الله لكل عباده ليس من قوم حسبوا حساب أنفسهم وحساب مصالحهم على حساب قوم آخرين، ولا لعرق على عرق، ولا للون على لون، ولا لقومية على قومية، بل هو الكلمة السواء التي يمكن أن يلتقي عليها جميع البشر، وهو المشروع العالمي الحقيقي الصالح القائم على العدل، والعدل دعامة أساسية في بنيانه، قال الله تعالى ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف:٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٣٥].

ثم هو حجة الله تعالى على عباده لأنه هو الذي خلقهم، هو ربهم، هو ملكهم وإلههم الحق وإليه مصيرهم وحسابهم وجزاؤهم، وقد قدم نداءه إليهم منذ بداية وجودهم على هذه الأرض، فقال تعالى مخبرًا بندائه واحتجاجه

﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ خطاب الله إلى البشر في كل الأجيال التي قد خلت ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف:٣٥- ٣٦]، ولذلك فلا خلاص اليوم للبشرية بأي بديل عن رسالة الله تعالى، ولا حل يغير الواقع بكله إلا الانفتاح على الرسالة الإلهية، على رسالة الله ونوره، ولا صلاح لآخر الأمة إلا بما صلح به أولها.

## قوى الاستكبار اليوم وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل تفاقم مشاكل البشرية

لقد ثبت بأن قوى الاستكبار اليوم وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل تفاقم مشاكل البشرية، وتفسد في الأرض، وتعتدي على الشعوب، وتنهب الخيرات، وتصنع الحروب والأزمات، ولا تقدم للبشرية إلا المزيد من المآسي والنكبات، وزاد من سوء الأمر في عالمنا الإسلامي

خصوصًا في المنطقة العربية: التبعية العمياء من بعض الدول التي تقدم نفسها على أنها تمثل الإسلام كما هو حال النظام السعودي والإماراتي المنافقين وأذيالهما الذين جعلوا من أنفسهم أداة الشر لتنفيذ مؤامرات الأعداء وهدم كيان الأمة من الداخل، وهم بلا شك امتداد ظلامي ظالم لقوى الاستكبار، ويمثلون حالة الانحراف والتحريف مع الأمم التي ائتلفت واتفقت معها وتشابهت في حالة الانحراف والتحريف في شريعة موسى وشريعة عيسى عليهما السلام.

## التبعية لأعداء الأمة من المستكبرين خروجًا عن الحق

إن القرآن الكريم يجعل من التبعية لأعداء الأمة من المستكبرين خروجًا عن الحق وزيغا عن الهدى وخيانة للأمة وهو يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]، وإن أكبر معاناة تعانيها الأمة اليوم هي هذه التبعية التي مثلت حالة

اختراق كبير ومؤذ ومخرب في داخل الأمة، ويجب أن تحذر منها الأمة، وأن تتحصن منها بالوعي، وأن تواجه مؤامراتها ومكائدها بكامل المسؤولية، ومآل أولئك الخونة المنحرفون: مآلهم إلى الخسران مصداقًا للوعد الإلهي في سورة المائدة.

## الأمة معنية في مواجهة التحديات بالاعتصام بحبل الله

الأمة وهي في مواجهة التحديات الداخلية مع قوى النفاق، والخارجية من قوى الطاغوت والاستكبار معنية بالاعتصام بالله سبحانه وتعالى، والارتباط الوثيق برسالته، فبها تتقوى، وبتعاليمها تفلح، وبالتمسك بها تنتصر؛ لأنها رسالة في مضمونها من التعاليم والتوجيهات والحكمة عناصر القوة، عناصر القوة ذاتية فيها، وبالتمسك بها تحظى الأمة بنصر الله وعونه قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

وقد كان لشعبنا اليمني الشرف الكبير بدءًا بالأنصار في إيمانه وجهاده وتفاعله مع رسالة الله تعالى حتى نال وسام الشرف الكبير فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله بشأنه ((**الإيمان يمان والحكمة يمانية**))، وبهذا الإيمان كان ثابتًا ومتماسكًا في مواجهة العدوان الأمريكي السعودي الإماراتي بالرغم من حجم المعاناة نتيجة القتل والحصار والتدمير، وبوعيه لم يتأثر بأبواق التضليل.

وما عدا الخونة والمنافقين والمرتزقة فإن جماهير شعبنا بعظيم الصبر والصمود والعطاء قدمت إلى العالم أجمل صورة عن عظمة قيم الإسلام وأثر الإيمان، فأسر الشهداء والجرحى، وأبطال الميدان من الجيش واللجان الشعبية، وجماهير الشعب من كل أطيافه أثبتوا للجميع أن القوة هي قوة المبادئ وقوة القيم والأخلاق وقوة الاعتماد على الله والتوكل عليه.

ولذلك فإن شعبنا اليوم وبميثاق الإسلام الذي قدمه في صدر الإسلام لرسول الله محمد صلى الله عليه وعلى

آله إيمانًا ونُصرةً وإيثارًا؛ يؤكد اليوم بالقوة وبالفعل: الاستمرار على النهج والمواصلة للسير في الطريق والسعي المستمر للاستبصار والارتقاء الإيماني إن شاء الله تعالى، ونؤكد على أن خيار شعبنا المسلم العزيز في مواجهة هذا العدوان الإجرامي الوحشي الذي يقتل البشر ويحتل الأرض وينتهك الحرمات وينشر الفرقة ويحاصر الشعب في قوته ومعيشته ويستهدفه في مقدراته ومصالحه هو الصمود والثبات والمواجهة.

فلا وهن ولا ذل ولا استسلام، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، فنحن شعب عزيز بعزة الإيمان، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، وطالما استمر هذا العدوان فلن نألوا جهدا في التصدي له بكل عزم وجد، وبالتوكل على الله تعالى وبثقتنا به وبوعده لنا بالنصر.

ولذلك فالجميع في بلدنا معنيون بحكم المسؤولية بالحفاظ على وحدة الصف الداخلي، وحشد كل الطاقات والإمكانات للتصدي لهذا العدوان، لا يخرج عن هذه الأولوية ويتجاهل هذا الجانب إلا مارق متبلد الإحساس

عديم الوعي، مُفَرَّغ ومفلس من الشعور الإنساني[1].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٥٠].

نسأل الله أن يرحم شهداءنا وأن يشفي جرحانا وأن يفرج عن أسرانا، وأن يعجِّل بفرجه على شعبنا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

❊❊❊

(١) خطاب المولد لعام ١٤٣٨هـ.

# المحتويات


شعبنا يتميز بتفاعله الكبير مع ذكرى المولد ..... ٣
من المهم لكل مسلم أن يسعى إلى معرفة الرسول ..... ٤
الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من أهم وسائل التعرف على هذا النبي العظيم ..... ٥
ولهذه المناسبة العزيزة دلالاتها: ..... ٦
حالة العالم قبل مولد الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ..... ١٠
محاولة هدم البيت الحرام: ..... ١٢
رحلة مع الرسول والرسالة ..... ١٥
المرحلة الأولى: من الولادة حتى البعثة بالرسالة ..... ١٦
المولد المبارك ..... ١٦
نسبه الشريف: ..... ١٧
النشأة المباركة: ..... ١٨
عبد المطلب وانتظاره لهذا المولود: ..... ٢٠
سنة الله مع أنبيائه: ..... ٢٢
الرعاية التي أحيط بها الرسول: ..... ٢٥
فاطمة بنت أسد ودورها العظيم: ..... ٢٧
وفاة جده عبد المطلب وكفالة أبي طالب: ..... ٢٩
ما حظي به النبي صلوات الله عليه وعلى آله من الرعاية ..... ٣١
نشأته المباركة: ..... ٣١
في مرحلة شبابه صلوات الله عليه وعلى آله: ..... ٣٣
الصادق الأمين: ..... ٣٤
زواجه من خديجة: ..... ٣٥
كان رسول الله كثير التأمل في الكون: ..... ٣٨
إسهامه في بناء الكعبة: ..... ٤٠
الرسول كان محاطا بالرعاية الإلهية: ..... ٤١
المرحلة الثانية: البعثة النبوية ..... ٤٢
طريقة نزول الوحي: ..... ٤٢
أول ما نزل على الرسول هي سورة الفاتحة ..... ٤٦
التحرك بالدعوة ..... ٤٨
مكة أول منطقة تحتضن هذا النشاط الرسالي: ..... ٤٩
قريش في مواجهة الدعوة: ..... ٥٤
الهجرة إلى الحبشة: ..... ٥٥
البحث عن بديل عن مكة: ..... ٥٦
المرحلة الثالثة: العهد المدني ..... ٥٨
الأوس والخزرج وسبب وجودهما: ..... ٥٨
الصراع المسلح: ..... ٦٢
ما الذي تحقق للبشرية؟ ..... ٦٤
ما الذي صنعته الرسالة المحمدية على مستوى العالم؟ ..... ٧٠
الرسالة الإلهية هي المشروع الوحيد القادر على إحداث التغيير الحقيقي للواقع البشري ..... ٧٢
قوى الاستكبار اليوم وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل تفاقم مشاكل البشرية ..... ٧٤
التبعية لأعداء الأمة من المستكبرين خروجًا عن الحق ..... ٧٥
الأمة معنية في مواجهة التحديات بالاعتصام بحبل الله ..... ٧٦